خطبة صلاة الجمعة 6/9/2024 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال، في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله ﷺ في النصيحة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله ﷺ إذا خطب يقول: **«أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة»**.

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين: الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال: ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

فأحسن الهدي هدي محمد، أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية والدلالة والإرشاد هدي رسول الله محمد ﷺ.

أيها الإخوة:

نحن في سلسلة الحياة الأسرية، ولكني بمناسبة دخول شهرِ ربيع الأول شهرِ ولادة سيدنا محمد ﷺ سأتابع سلسلةً بدأتها قبل سنوات في شهر المولد عنوانُها: (هدي رسول الله ﷺ).

تحدثتُ في الأعوام المنصرمة عن هديه ﷺ في العبادات الشعائرية، وهديه ﷺ في المعاملات المالية، وفي العلاقات الأسرية، وفي الشدائد والمحن، وفي مخالطة الناس، وهديه ﷺ في التعليم، وفي القضاء بين الناس وفي الدعوة إلى الله، وفي التعامل مع كبار السن ومع الشباب، ومع القرآن الكريم، ومع المخطئ.

نتابع هذه السلسلة لنكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أنّ الكمال البشري معقودٌ في رسول الله ﷺ، فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذا حذوه ﷺ سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

عنوان خطبة اليوم: **هدي رسول الله ﷺ في النصيحة**

وجدت هدي رسول الله ﷺ في النصيحة في النقاط الآتية:

أولاً: بذله ﷺ النصيحة للجميع وفي جميع الأوقات:

للنصيحة شأن كبير في الدين، فقد أخرج الإمام مسلم عن تميم الدّاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

قال الإمام محمَّد بن أسلم الطُّوسي: هذا الحديث أحد أرباع الدِّين -أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الدِّين- فعارضه الإمام النَّووي وقال: بل على هذا الحديث وحده مدار الدِّين.

والأصل أن النصيحة واجبة على كل من قدر عليها، ومن هنا تجدون رسول الله صلى الله عليه وسلم يبذل النصيحة للكبير والصغير، والقريب والبعيد، والرجل والمرأة، في حله وترحاله، وفي ليله ونهاره.

أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال: «كُنَّا مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في سَفَرٍ، فانطلقَ لحَاجَتِه، فرَأينا حُمَّرَة معها فَرخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرخَيها، فَجَاءت الحُمَّرَةُ، فجَعَلتْ تُعَرِّشُ، فَلمَا جاءَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ فَجَعَ هذه بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا ولدَهَا إليها**»، ورَأى قَريَةَ نَمْلٍ قَدْ أحْرَقناهَا، فقال: «**مَن أَحرَقَ هذه؟**» قُلنا: نحن، قال: «**إِنَّهُ لا ينبغي أَنْ يُعَذِّبَ بعذاب النارِ إلا رَبُّ النَّار**».

إنها النصيحة في السفر والحضر.

وأخرج البخاري عن أم سلمة رضي الله عنها: «أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليلة فَزِعاً، وهو يقول: «**لا إله إلا الله، ماذا أُنزل الليلةَ من الفتنة؟ ماذا أُنزل من الخزائن؟**» وفي رواية: «**ماذا فُتح من الخزائن؟ مَن يُوقِظُ صواحبَ الحُجُرات – يريد: أزواجَه – فيُصلِّين؟ رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**».

إنها النصيحة بالليل والنهار.

وأخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**يا بُنَيَّ، إذا دخلتَ على أهلك فَسلِّم، يَكُنْ سلامُك بركة عليك وعلى أهل بيتك**».

إنها النصيحة للصغير والكبير.

والحاصل أيها الإخوة، فهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصيحة بذلها للجميع وفي جميع الأوقات، فتأسوا بهديه تسعدوا.

ثانياً: تلطفه ﷺ في النصيحة وعدم تعنيفه المخطئ:

روى مسلمٌ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَالله مَا كَهَرَنِي وَلاَ ضَرَبَنِي وَلاَ شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**».

وأخرج الشيخان عَن أنس رَضِي اللهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَمَا نَحن فِي الْمَسْجِد مَعَ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم إِذْ جَاءَ أَعْرَابِي، فَقَامَ يبُول فِي الْمَسْجِد، فَقَالَ أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم: مَه مَه، فَقَالَ النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم: «**لَا تزْرِمُوه دَعوه**». فتَرَكُوهُ حتَّى بَال، ثمَّ إِنَّ رَسُول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسلم دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِه الْمَسَاجِد لَا تصلح لشَيْء من هَذَا الْبَوْل وَلَا (القذر)، إِنَّمَا هِيَ لذكر الله وَالصَّلَاة، وَقِرَاءَة الْقُرْآن**»، فَأَمَرَ رجلا من الْقَوْم، فجَاء بِدَلْو من مَاء، فشنَّه عَلَيْهِ وقال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرين، وَلم تُبعَثوا معسرين**».

ومن تلطفه ﷺ في النصيحة أنه كان يعرض بالمنصوح ولا يصرح باسمه لئلا يحرجه فيقول: «**ما بال أقوام...**».

فقد أخرج الإمام أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل شيء، لم يقل: ما يقول فلان؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟».

ومن ذلك حديث الثلاثة الذين قال أحدهم لا أتزَوَّجُ، وقال الآخر: لا أنام على فراش، وقال الثالث: أصومُ ولا أفْطِرُ، فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فحَمِدَ الله وأثنَى عليه، ثم قال: **«ما بَالُ أقوامٍ يقولون كذا وكذا؟ لكني أصلّي وأنامُ، وأصومُ وأفطِرُ، وأتزَوَّجُ النساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتي فليس مني»**.

والحاصل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتلطف في النصيحة ولا يعنف المخطئ الجاهل.

ثالثاً: إظهاره ﷺ الود والمحبة للمنصوح:

كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا نصح أحد أصحابه أظهر له ودَّه وحبَّه، بالأفعال أو بالكلام، فتراه حيناً يمسح على رأس من يريد أن ينصحه، وحيناً يضع يده على كتفه، وحيناً يُمسك بيد من ينصحه ويضع كفه بين كفيه، وحيناً يخبر المنصوح بمحبته له.

أخرج أبو داود في سننه عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: **«يَا مُعَاذُ، إِنِّي لَأُحِبُّكَ»** فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله، وَأَنَا أُحِبُّكَ، قَالَ: **«أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**.

وأخرج أبو داود والترمذي عن رافع بن عمرو الغفاري قال: «كنتُ غُلاماً أرْمي نَخْلَ الأنصار، فأُتِيَ بي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: **«لِمَ ترمي النخلَ؟»** قلتُ: لآكُلَ، فقال: **«لا تَرْمِ النخلَ، وكُلْ ما سَقَط في أسْفَلِها»**، ثم مسحَ رأسَي، وقال: **«اللهم أشْبِعْ بطنه»**.

وأخرج الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «علَّمني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم التشهد – كفِّي بين كفَّيْه– كما يُعَلِّمُني السورة من القرآن: التحياتُ لله، والصلوات، والطيبات، السلام عليك أيها النبيُّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسولُ الله».

والحاصل أن النبي ﷺ كان يظهر الود والمحبة للمنصوح، وهو أدعى لقبول النصيحة.

رابعاً: إنهاؤه ﷺ النَّصيحة إذا رأى أنها ستتحول جدالاً عقيماً:

هدف النَّصيحة أن يُصحِّح المخطئ خطأه، وأن يعود الشَّارد إلى الطَّريق، وليس الهدف منها إبراز حجة الناصح، ولا إفحام المنصوح، فإذا رأيت النَّصيحة تحوَّلت إلى جدالٍ عقيمٍ فتوقَّف عن متابعة

الحديث، فإنَّ النَّصيحة لا فائدة منها الآن، فقد ﷺ ينهي كلامه إذا رأى أن النصيحة ستتحول جدالاً عقيماً.

أخرج البخاري عن عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ الله طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْلَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَنْفُسُنَا بِيَدِ الله فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

وبعد أيها الإخوة:

هذه أربعة في هدي النبي ﷺ في النصيحة: بذلها للجميع وفي جميع الأوقات، والتلطف بها وعدم تعنيف المخطئ، وإظهار الود والمحبة للمنصوح، وإنهاء النصيحة إن تحولت جلاً عقيما.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين